الشاعر الفارسي الاكبر

— ١ —

انتبهت في صباح عاشوراء وهو اكبر يوم في ايران ، انتبهت وكان جبل البرز[١] يرفل بطرفه المطرز وقد ذاب عنهُ الثلج الاَّ اقلهُ فكانت بقاياهُ الناصعة تبدو على قمته فتحسبها خطوطاً فضيةً في ذلك الرداء الذهبي وكان الجبل ساكناً وقوراً او تمثالاً اثقلتهُ الكرة والشرق يحمل كاس ذكاء الوردية ويزفها اليهِ بكف مرتعشة ولا يكاد يمسكها حتى تسقط بين اناقي والخمور وتمزق على الصخور فيدركها الضحى ويتناشها من مخاب « البرز » فتنتاب الجبل صاعدة نازلة تستتر تارة وتسفر اخرى ، وكانت قطع الغمام كالدمقس تكسو صفحة الزرقاء فتفتحت كوة قلبي الكبير للنور والنسيم وكدت ارشف كأس الشمس واصبها على وجداني ولكن سرعان ما حلك الفضاء واظلم في عيني النهار واكفهر الجو وكنت اخال جدران بيتي تهتز جزعاً وتردد صدى الناعين بمزاميرهم وطبولهم ، والناس يهرعون الى الشوارع من كل فج عميق ويدمون صدورهم لطماً بالاكف ويضربون رؤوسهم ضرباً بالسيوف حتى تخضبت وجوههم وجسومهم بدمائهم وهم بذلك فرحون يعدون ما يفعلون اكرم عبادة يقدمونها لله في سبيل الحسين بن علي سيد الشهداء. وكان الم قد لزمني فعصمت نفسي عن مشاهدة تلك المناظر في ذلك اليوم وركنت الى الصاحب الصامت فاخذت كتاب الفردوسي الموسوم (شاهنامه / اي (كتاب الملوك) او (تذكرة الملك) ففتحتهُ دون ان اقصد باباً من ابوابه ووقعت عيني على فصل منهُ فقلت في نفسي هذا لو ترجمتهُ واتحفت ابناء العربية بهِ . الفردوسي نظم كتابهُ في ثلاثين عاماً فكان مجموع ما نظمهُ ستين الف بيت وانى ترجمت في يوم واحد ثمانين بيتاً وايقنت اني لو ادمت ذلك لانجزت ترجمة الكتاب في سنتين او ثلاث وكررت النظر فترجمت ايضاً شيئاً كثيراً وعسى ان تحين الفرصة فارسلهُ الى المقتطف الاغر

﴿ الشعر الفارسي ﴾ — حفظت شيئاً كثيراً من شعر العرب والعجم ونظمت الشعر باللغتين وما انا الا عربي استنبط او نبطي استعرب فبهذه الصفة حكمت نفسي وقضيت للشعر الفارسي بالرقة والحلاوة وحسن الاسلوب والتفنن بالاستعارة الجميلة والوصف والغور

(١) « البرز » جبل عظيم مشرف على طهران وله منظر رائع جميل

في بحر المعنى والبراعة والكناية والتشبيه كما حكمت للشعر العربي بالجزالة والبلاغة وعذوبة الالفاظ. فالغزل والتشبيب والوصف عند الفرس احسن واعذب منها عند العرب. وذكرى الديار والوقوف بالاطلال والنوح والحنين والوجد والرثاء والفخر والحماسة عند العرب اكثر واكرم منها عند العجم — فلم يقف بين الطلول في ايران الا دون العشرة من الشعراء اشهرهم الخاقاني الذي وصف المدائن بقصيدة بليغة

عرفت العربي باسلاً كريماً ، ابيّ الضيم ذا انف حميّ فحكمت لهُ بشدة البأس والشهامة بالجزالة والحماسة . وعرفت الفارسيّ طروباً لاهياً خفيف الروح ، رقيق الشعور فقضيت لهُ بالتشبيب . فالحماسة درع يلبسهُ العرب في يوم الفخر والغضب . والغزل ثوب يرفل بهِ العجم في يوم اللهو والطرب . وكل يليق بهِ ما هو لابسهُ ، وان كان الفردوسي بحماسته في كتابهِ (تذكرة الملك) لم يبقِ باقية لا للعرب ولا للعجم ولكنهُ تفرد بهذه الصفة . اذا قلنا ان الوصف والغزل والتشبيب عند العجم اكرم منهُ عند العرب فانهُ يحق لهم لان بلاداً مثل ايران تنبت الورد صنوفاً توحي الشعر فنوناً وان مناظرها الطبيعية الرائعة الجميلة وطيورها الصوادح وظباءها السوانح وانهارها الجارية وسماءها الصافية ونسيمها العليل و بالجملة جمالها في كل شيء في اهلها ورياضها وجبالها واوديتها وغاباتها كل ذلك يرسل الشعر و يهيج الضمير

﴿ من هو الفردوسي ؟ ﴾ لقد اجمع الفرس من متقدم ومتأخر اديب او امي ، اميرٍ وسوقة ، حضري و بدوي على ان ابا القاسم الفردوسي اكبر شاعر فارسي من يوم وجد وكان حتى هذا العصر ، فهو رب الشعر عندهم بلا مراء وهو شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء ولست اريد بما اسطر عنهُ الآن الا ان اشير الى فلسفتهِ بالاجمال ولا يهمني ولا القراء ذكر مولده وعمره واين عاش وكيف كان واين عرف وما ذاك الا ضنّاً بصفحات المقتطف الاغر ولكن لا غنى من ان اقول :

كان الملك محمود سبكتكين مولعاً بالادب الفارسي فكلف الفردوسي بان ينظم تاريخ الاكاسرة بصف حروبهم وصفاً حماسياً ووعدهُ ان يعطيهُ عن كل بيت ديناراً ذهباً ففعل الفردوسي واجاد ما شاء وشاءت لهُ قريحتهُ ولما اتم نظم الكتاب سئل الملك ان يجز لهُ ما وعد بهِ . وقد حسد الشعراء الفردوسي على ذلك فسعوا بهِ عند الملك وكان احد وزرائهِ المقربين (وهو حسن الميمندي) يبغض الفردوسي بغضاً شديداً لتشيعهِ

وكانت المذاهب والاديان في ذلك الزمان منشأ الاحن والاضغان فاجمع كل من هذا وذاك على حرمان الفردوسي ولكن الملك ما شاء ان يخلف وعده تماماً فعوّض الشاعر بالدرهم من الدينار وكان الفردوسي حينئذٍ في الحمام فلما خرج وعلم بوصول الجائزة استحقرها ووهبها للحمامي وقال انما نظمت ذلك للحقيقة والادب والتاريخ . فاغتاظ الملك منهُ واراد ان يوقع بهِ شرًّا فتضرع الفردوسي وشفع لهُ (ايلز) نديم الملك وحبيبهُ فعفى عنهُ اولاً وتوعدهُ ثانياً فهرب وشرع يهجو الملك ولكن بعفة وادب . وقد ندم الملك على ما فعل ولكن الفردوسي مات الاَّ ان ذكره وعزة نفسه وابائهُ وشعره امور لا تزال تتجدد على مرّ الليالي والايام وفلسفتهُ تتضوع فتعطر الارجاء في كل مكان وزمان وهو اليوم كما كان بالامس حديث الركبان وسمر السامرين وشعره المثل السائر والادب الرائج وها قد مرّ عليهِ الف عام وهو لا يزال متاع الشعراء وبضاعة المتشاعرين

اما نظمهُ من حيث التاريخ فليس بذي شأن اي ان مطالبهُ التاريخية ليست الاَّ خيالية بل قصص واساطير فهو اشبه شيء بالرواية منهُ بالتاريخ ولكنهُ من حيث المبنى والمعنى والفلسفة والمغزى والنصيحة والموعظة الحسنة والمثل والمرام ليس الاَّ آيات بينات يعجز عن ان يجيء بمثلها المتنبي نبي الشعر ولا يقدر الشاعر البليغ ان يباريه ويجاريه في حلبة الادب . وكتابهُ اليوم في نظر المجوس ومن يدين بدين زردشت النبي الفارسي كغير كتاب سماوي واكرم سفر مقدسي يحفظ شعره الشيخ والوليد . وعند العجم هو الامام الناطق الفصيح ، فيهِ المقتدى ، وعليهِ المعوّل في النظم والانشاء . وقد تكلف الفردوسي في نظمه بالفارسية فانهُ احترز عن الكلمات العربية تعصباً وحرصاً على لغة قومهِ في حين لا يتكلم بالفارسية المحضة الاَّ القليل . فهو محيي اللغة الفارسية بعد ان قتلتها العربية قتلاً ادبياً ومادياً . وقد ترجم كتابهُ كله او جله او قليل منهُ الى اللغات الغربية فاعجب بهِ الانجليز والافرنج وغيرهم من الامم الراقية وهم اليوم يعرفونهُ كما يعرفون (هوميروس) وعندي بل عند كل منصف ان كتابهُ يفوق الالياذة بكثير وان فلسفتهُ تفوق كل فلسفة شعرية فانك تجد في خلالها الروح العصري على بُعد القرون . وقد بلغني ان ملكة انجلترا (فكتوريا) كانت معجبة بشعر الفردوسي وقصصهِ لاسيما قصة (رستم وسهراب) فان رستم قد قتل ابنهُ سهراب في يوم الطراد من غير علم ثم وقف عليهِ وهو مجندل ينازع سكرات الموت فرثاهُ . فكانت الملكة تقول :

« يخيل اليّ ان سهراب ابني لو اصيب بمثل ما اصيب به سهراب لما حزنت عليه اكثر من ذلك » وكنت اود ان اترجم تلك المأساة او اخبرّ عنها كقصص الاسكندر الفاتح الشهير ووقوفه على نعش دارا الملك الفارسي ثم وقوف ام الاسكندر على جنازة ابنها بعد حين وقد مثل فيها الدنيا احسن تمثيل فجعلها العبرة للاعين . وان فلسفة الفردوسي وبغضهُ للحرب وحبهُ للسلم ودعوتهُ الى الاخاء ونبذ الضغن وذم الانتقام في قتل الحي بالميت ووصفهُ الناس باجمعهم من نبات واحد يظهر مما ترجمتهُ من شعره واعتقد ان ما ترجمتهُ ليس من اجود شعره وان احسنهُ يرد يدي الى صدري عزاً

طهران ميرزا عباس الخليلي

صاحب « اقدام » اليومية ورئيس تحريرها

الشمس بين عاشقين

« انا — والقمر »

بعد ذاك الجلال والاشراق آذنت بالسُّرى وزم النياق
أنا يا شمسُ ما أطقت فراقاً أنطيقين يا ذكاء فراقي
أو ما تعلمين يا شمس مثلي أنَّ طعم الفراق مرُّ المذاق
كم اقاسي من الجوى ما أقاسي وألاقي من الهوى ما ألاقي

***

قادك الجذب للسباق فبرّزت على الشهب في مجال السّباق
وتسنمت من ذرى الافق اسما ءهُ وأقصى شأو رفيع راق
جدت بالنور ثم رمت اختفاء اوَ اجمعت خشية الاملاق (١)
أين ذاك الشعاع وهو سطورٌ دُبّجت في صحائف الآفاق
والجلال الذي قد كسا الار ضَ والسموات فوق سبع طباق
إيه يا شمس كم صبا لك قلبي مستهاماً بنورك البرّاق
ما خلا حسنك البديع المفدّى ما حلا لي حسنٌ على الاطلاق

(١) الفقر